



يَا زَائِرًا قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ

السَّيِّدُ عَادِلُ الْعُلُوِي

لا يخفى على ذوي الدِّبِّ والنُّهْيِ أَنَّ الْعِلَاقَةَ وَالْإِرْتِبَاطَ الْوَثِيقَ بَيْنَ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ وَرَسُولِ الْإِنْسَانِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيْنَ أُمَّتِهِ وَالْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءُ تَتَبَلُّورُ فِي مَظَاهِرٍ وَرَمُوزٍ تَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَاسِعَةِ الْمُنْبَثِقَةِ مِنْ رَحْمَانِيَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ .

منها: عِلَاقَةُ (السَّلَامِ) مِنَ السَّلْمِ وَالسَّلَامَةِ .

ومنها: عِلَاقَةُ (الصَّلَاةِ) بِمَعْنَاهَا اللَّغْوِيُّ ، أَيِ الدَّعَاءِ الَّذِي يَخْبُرُ عَنِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُودَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَمَرَ نَبِيَّهِ الْأَكْرَمَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أُمَّتِهِ مَا لَأَ (زَكَاةً وَصَدَقَةً) لِيَطَهَّرَهُمْ وَيُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ ، أَيِ يَدْعُو لَهُمْ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ (١) .

ونتيجة صلاة النبي ودعائه المبارك هو السكون والاستقرار والسكينة والطهارة وكفارة الذنوب والبركات والخير والثبات ونعيم الآخرة ، ثمَّ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَخَاطَبُ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا بِأَنْ يَصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

(١) التوبة: ١٠٣ .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

فإنه بدأ بنفسه أولاً، وهذا يعني أن من يأمر بشيء ويضع قانوناً يبدأ بنفسه أولاً، فالعالم إذا عمل بعلمه فإنه يطاع في أمره، وأيضاً لبيان أهمية صلاة المؤمنين على نبيهم قرن صلاته مع صلاة ملائكته، والصلاة شعار الولاء والموودة والمحبة، كما أن اللعن شعار البغض والعداء والتبري، وبكلاهما يتقرب العبد إلى الله عز وجل. ثم سبحانه وتعالى يأمر نبيه أيضاً بأن يسلم على المؤمنين عند قدومهم وحضورهم، ونتيجة سلام الله وسلام رسوله هي السلامة والعافية من الذنوب والآثام؛ والرذائل في الروح، ومن الأمراض والأسقام والآلام في الجسد، قال سبحانه:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

وهذه بشرى سارة لمن يدخل المدينة المنورة ويزور رسول الله ﷺ، فإن النبي ﷺ يسبقه في السلام، كما كان ذلك من خلقه الرفيع، ثم لا فرق في النبي ﷺ بين حياته الدنيوية وحياته الأخروية، فإنه حيٌّ ب حياة برزخية يسمع ويرى، فمن زاره من المؤمنين والمؤمنات الذين آمنوا بآيات الله، ومن آيات الله العظمى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فإنه يسلم عليهم. وهذا من لطف الله ورحمته الواسعة، كما قال عز وجل:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٣).

فهو من اللطف الواجب على الله جل جلاله.

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) الأنعام: ٥٤.

(٣) الأنعام: ٥٤.



ثمّ الزائر والزائرة عند زيارتهما يتذكّران ذنبيهما، وربما يمنعهما الخجل من الزيارة والحضور عند الرسول ﷺ، ومن هنا قال سبحانه إنّ من رحمته الواسعة ولطفه الجسيم:

﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١).

فمن يجهل مقام الله وجلاله، وتدعوه نفسه الأمّارة بالسوء بإغراء من شياطين الجنّ والإنس، والانخداع بزخارف الدنيا الدنيّة، وبهارجها الزائلة، فإنّه يرتكب الذنوب والمعاصي، وحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، إلاّ أنّه حينما يتذكّر ربّه وآخרתه يندم على ما فعل، ويتوب ويرجع إلى الله من بعد ذنبه، ويصلح أمره بقضاء ما فات، وأداء الحقوق والواجبات، وإذابة الجسد في طاعة الله، فإنّ الله حينئذٍ يغفر الذنوب جميعاً، فإنّه الغفور، أي كثير الغفران - صيغة مبالغة - وإنّه الرحيم، أي كثير الرحمة الواسعة والمستمرّة إلى يوم القيامة والثابتة - صفة مشبّهة - فالزائر في رضوان الله ورحمة رسوله، فإنّه رحمة للعالمين، ومن يستغفر عند نبيّه، فإنّ الله يغفر له الذنوب.

ثمّ يترتب على زيارة النبيّ وعترته الأطهار فاطمة الزهراء وأئمّة البقيع عليهم السلام أمور جمّة وعظيمة، يكلّ اللسان عن بيانها ويعجز القلم عن وصفها، إلاّ أنّه ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه، فنشير إلى أهمّ تلك الأمور ليكون الزائر على بصيرة من أمره، ويزور نبيّه بمعرفة وعلم، إذ قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، وأفضلكم أفضلكم معرفة، وأتمّ الأجر والثواب والفضل على قدر العقل والعلم والمعرفة، فمن زار النبيّ وعترته الأبرار عليهم السلام، عارفاً بحقّهم بأنّهم مفروضو الطاعة، وجبت له الجنّة، ونال

(١) الأنعام: ٥٤.



رضوان الله وبركاته، وسمى في علو المراتب، ورقى المنازل وقم المقامات الإلهية والعرفانية .

وإليكم نبذة موجزة من معرفة الزيارة وآثارها:

١- الإيمان الراسخ والاعتقاد الكامل بتوحيد الله وختم النبوة والإمامة والوصاية .

فمن يزور خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ ويزور ابنته الصديقة سيّدة النساء فاطمة الزهراء ؑ ثم يزور أئمة البقيع ؑ وبقية أهل البيت والصحابة الأبرار، فإنه يعلن بزيارته أنه مؤمن بالمبدأ أي بالله سبحانه، كما أنه مؤمن بالنبوة وختمها بمحمد المصطفى ﷺ، ثم إنه من شيعة أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين، وأتباع خلفاء رسول الله من بعده، فمن ركب سفينتهم نجى، ومن تخلف عنهم غرق وهوى، سعد من والاهم وهلك من عاداهم .

٢- إظهار المودة التي جعلها الله أجراً للرسالة المحمدية السمحاء، كما في قوله تعالى: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾، والمودة هي المحبة المصحوبة بالطاعة، فلا يكفي الحب من دونها إلا لطهارة المولد، كما ورد في الأحاديث الشريفة .

٣- التعظيم والتكريم لمقامهم الشاخر بما خدموا الإنسان من أجل حفظ كرامته فبدلوا النفس والنفيس من أجل الإنسانية بهداية البشر إلى ما فيه سعادتهم وازدهارهم في الدنيا والآخرة بأقوالهم وسيرتهم وسلوكهم، فقدّموا الغالي والنفيس وصبروا في البلايا والمنايا من أجل إسعاد الناس وإرشادهم لما فيه خيرهم في الدارين .

٤- الشكر لما بذلوا للبشرية جمعاء بصورة عامّة، وللزائر بصورة خاصّة من هدايته والتوفيق لزيارتهم، ودعوته للضيافة والوفود إليهم، وفتح باب فهمه



بلذيد مناجاتهم وزياراتهم الماثورة عنهم .

٥ - التخلُّق بأخلاق النبي وآله والسير على خطِّهم ، فإنَّهم القدوة والأسوة ، فالزيارة وإن كانت بمعنى حضور الزائر عند المزور والسلام عليه ، إلا أنَّها تعني التشبُّه بالمزور أيضاً ، والافتداء بهديه وسلوكه والمشى على طريقته ، والتمسُّك بدينه ومنهاجه .

٦ - الاستمداد الروحي والفكري والغبي من النبي وآله ، فإنَّهم الوسيلة إلى الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَبْتغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ﴾ ، بهم فتح الله وبهم يختم ، وإنَّهم وجه الله الذي يتوجَّه إليه الأولياء ، والسبب المتصل بين الأرض والسماء ، والباب المبثلي به الناس ، فمن أتاهم نجى ، ومن تخلف عنهم هلك وهوى .

٧ - طلب الشفاعة منهم في الدنيا والآخرة ، فإنَّ الله ارتضى لهم ذلك ﴿إِلَّا لِمَن ارْتَضَى مِن رَّسولٍ﴾ وآل النبي نفس النبي ، ويدلُّ عليه (آية المباهلة) والأحاديث الشريفة في خلقهم النوري ، فإنَّهم نور واحد أوَّهم محمَّد وآخرهم محمَّد وأوسطهم محمَّد وكلَّهم محمَّد ﷺ ، أي أنَّهم يحملون الحقيقة المحمديَّة .

قال رسول الله ﷺ: « من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة »^(١) .

وقال: « من زارني حيّاً أو ميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة » .

وعن الإمام الرضا ﷺ: « إنَّ لكلَّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وإنَّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أمَّتهم شفاعواؤهم يوم القيامة »^(٢) .

٨ - الاستغفار وطلب التوبة من الله عندهم ، فإذا كانت الصلاة اليومية كنهراً يتطهَّر الإنسان منه في كلِّ وقت كما ورد في الحديث الشريف ، فإنَّ زيارتهم كالبحر

(١) البحار ١٠٠: ١٤٢ .

(٢) البحار ١٠٠: ١١٦ .



العظيم الذي يستوجب غفران الذنوب في ما تقدّم منها وفي ما تأخّر، ولو كانت بعدد النجوم وعدد أوراق الشجر ورمال البوادي، ويكون كيوم ولدته أمّه .
في سفينة البحار عن كتاب (فرحة الغري) في حديث عن النبي ﷺ أنه قال
عليّ السلام: ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام،
وخرج من ذنوبه حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه، فأبشر وبشّر أولياءك
ومحبّيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر، ولكنّ حثالة من الناس يعيرون زوّار قبوركم كما تعيّر الزانية بزناها، أولئك
شرار أمّتي لا أناهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي^(١).
٩ - طلب الأجر والثواب والخلاص من الذنوب والنار بزيارتهم، كما جاء



(١) السفينة ٣: ٥١٦، عن البحار ١٠٠: ١٢١.



عنهم في فضل زيارتهم .

قال رسول الله ﷺ: - لما سأله الحسن بن عليّ ﷺ: يا أبتاه، ما جزاء من زارك؟ - يا بُنَيَّ، من زارني حيّاً وميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة، فأخلصه من ذنوبه^(١).

عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ: قالت فاطمة ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: يا فاطمة، من صلى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنة^(٢).

التهديب بسنده عن يزيد بن عبد الملك عن أبيه عن جدّه، قال: دخلت عليّ فاطمة ﷺ فبدأتني بالسلام ثمّ قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة. قالت: أخبرني أبي وهو ذا، هو أنّه من سلّم عليه وعليّ ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة. قلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم، وبعد موتنا^(٣).

كامل الزيارات بسنده عن أبي عبد الله الإمام الصادق ﷺ أنّه قال في حديث له طويل: إنّ أتاه رجل فقال: هل يُزار والدك؟ فقال: نعم. قال: فما لمن زاره؟ قال: الجنة إن كان يأتّم به. قال: فما لمن تركه رغبةً عنه؟ قال: الحسرة يوم الحسرة^(٤). قال رسول الله ﷺ: من زار الحسن في بقیعه ثبت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام^(٥).

قال الإمام الصادق ﷺ: من زارني غفرت له ذنوبه ولم يميت فقيراً. قال رسول الله ﷺ لولده الحسن ﷺ: تزورك طائفة يريدون به برّي وصلّتي، فإذا كان يوم القيامة زرته في الموقف، فأخذت بأعضائها فأنجيتها من

(١) علل الشرائع: ٤٦٠.

(٢) كشف الغمّة ٢: ٩٨.

(٣) التهديب ٦: ٩.

(٤) كامل الزيارات: ١٢٣.

(٥) البحار ١٠٠: ١٤١.



أهواله وشدائده^(١).

وفي كامل الزيارات: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ، من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتها أو بعد موتها ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره معي في درجتي^(٢).

عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام قال: من زار جعفرأ وأباه لم يشك عينه، ولم يصبه سقم، ولم يميت مبتلى.

وعنه عليه السلام لما سئل: ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كان كمن زار رسول الله ﷺ. وعنه عليه السلام قال: إذا حج أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا، لأن ذلك من تمام الحج^(٣).

وقال الرسول ﷺ: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى.

١٠- التولي والتبرّي، فإنها من فروع الدين، ومن مظاهرها الزيارة والتشرف بأعتاب النبي وآله عليهم السلام.

١١- نزورهم أداءً لحقهم، فإن الزيارة من أداء الحق، ومن تركها فقد جفاهم، كما ورد أن من لم يزر رسول الله ﷺ بعد حجّه أو في حجّه، فقد جفا رسول الله ﷺ.

وعن الخصال بسنده قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: أتموا برسول الله ﷺ حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله، فإن تركه جفاء، وبذلك أمرتم، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله عز وجل زيارتها وحقّها، واطلبوا الرزق عندها.

(١) البحار ٩٧: ١٣٩.

(٢) كامل الزيارات: ١١.

(٣) الفصول المختارة ١: ٩٤.



وقال ﷺ: من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن جاءني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة.

وقال أبو جعفر الإمام الباقر عليه السلام: إن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله تعدل حجة مع رسول الله مبرورة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ بالسلام فإنه يبلغني.

١٢ - نيل المواهب الإلهية في الدنيا والآخرة ما لم يخطر على قلب بشر، وما يذكر فإنه غيظ من فيض وقطرات من البحار، وفوق كل ذي علمٍ عليّ، وقل رب زدني علماً وألحقني بالصالحين.

هذا، ولا يخفى أن فضائل الزيارات ودرجاتها وأجرها وثوابها تختلف باختلاف إيمان الزائر ومعرفة، وبمقدار رعاية آداب الزيارة وقدسيتها.

وقد تصدّى علماءنا الأعلام في كتب السنن والآداب والأخلاق لبيان بعض آداب الزيارة وأحكام الروضات وبعض النوادر^(١).

قال الله تعالى: ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾^(٣).

وجاء في سفينة البحار في البيان:

الآية الأولى تومي إلى إكرام الروضات المقدسة وخلع النعلين فيها، بل عند

(١) راجع بحار الأنوار ١٠٠: ١٢٤.

(٢) طه: ١٢.

(٣) الحجرات: ٢.

القرب منها .

والثانية تدلّ على لزوم خفض الصوت عند قبر النبي ﷺ وعدم جهر الصوت لا بالزيارة ولا بغيرها، لما روي أنّ حرمتهم بعد موتهم كحرمة النبي ﷺ، ويؤيد ما ذكرناه ما رواه الكليني في وفاة الحسن بن عليّ ؑ ودفنه .

الاحتجاج: وفي جواب الحميري الوارد عن الناحية المقدّسة: أمّا السجود على القبر فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيارة، والذي عليه العمل أن يضع خدّه الأيمن على القبر، وأمّا الصلاة فإنّها خلفه ويجعل القبر أمامه، ولا يجوز أن يصليّ بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره، لأنّ الإمام صلى الله عليه لا يتقدّم ولا يساوى .

التهديب: عن أبي عبد الله ؑ في قوله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كلّ مسجد﴾، قال: الغسل عند لقاء كلّ إمام .

التهديب: عنه ؑ قال: من اغتسل بعد طلوع الفجر كفاه غسله إلى الليل في كلّ موضع يجب فيه الغسل، ومن اغتسل ليلاً كفاه غسله إلى طلوع الفجر .
وراجع ما ذكره الشهيد الأوّل في كتابه (الدروس) في آداب الزيارة .
ويستحبّ أن يصليّ بصلاة (جعفر الطيّار) فإنّه يكتب له بكلّ ركعة ثواب من حجّ ألف حجّة واعتمر ألف عمرة .

ويقرأ الزيارات المأثورة عن أهل البيت ؑ، ومن أفضلها زيارة الجامعة الكبرى، والصغرى، وجامعة أمير المؤمنين، وزيارة أمين الله، وآل ياسين، ودعاء عالية المضامين، و(دعاء العديلة)، جاعلاً عقائده أمانة عند المزور (النبيّ أو الإمام ؑ)، ليردّها وقت حضور موته، كي يكون مستقرّ الإيمان .

كما يزور نيابةً عن الملائكة والأنبياء والأوصياء والعلماء والشهداء والصلحاء، وكلّ المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها، وعن الوالدين



والأقرباء والأصدقاء والجيران وأهل بلدته وحُزانتَه وحامّته، فيشارك خلق الله المؤمن في زيارته ودعوته، فيعرج إلى ربّه في القوسين النزولي والصعودي، ويسافر من الخلق إلى الحقّ بالحقّ، ومن الحقّ إلى الخلق بالحقّ. وختاماً، أسأل الله لي ولكم التوفيق والتسديد وأن يسعدنا بإحياء أمر الولاية بكلّ مظاهرها النورانيّة، فيوفّقنا لزيارة النبيّ وآله في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة، ونتأدّب بأدابهم ونتخلّق بأخلاقهم، وأن نحشر في زميرهم. فعهم معهم في الدنيا والآخرة - لا مع عدوّهم ومنكري فضائلهم ومعاجزهم وكراماتهم - ومن يؤجر من الثواب على زيارتهم وزيارة قبورهم المقدّسة وحرّمهم الشريف.